

تحليل المناسبة في آيات سورة التين والزيتون

نضال حسون

طالبة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مازندران، إيران

ndalalsylawy@yahoo@gmail.com

الدكتور حميد رضا مشايخي

أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، تخصص النقد والبلاغة، جامعة

مازندران، إيران

Mashayekhih@umz.ac.ir

Analysis of the occasion in the verses of Surat Al-Tin and Al-Zaytoun

Nidal Hassoun

Master's student at the Department of Arabic Language
and Literature, University of Mazandaran, Iran

Hamid Reda Mashaykhi

Associate Professor at the Department of Arabic Language
and Literature, Specialization in Criticism and Rhetoric,
University of Mazandaran, Iran

Abstract:

Qur'anic studies, in the past and present, have been striving to understand and study the sciences of the Noble Qur'an in all its arts. For the sake of these sciences, the science of occasions is the pillar of the Qur'anic miracle as it sheds light for consideration and understanding to clarify the meanings and the miraculous interconnection of the Qur'an from the first surah to the last surah. This science was not fully taken care of by researchers and scholars, but rather they dealt with it in part, especially since the science of occasions shows us that the order of the Qur'an came from the Prophet (peace and blessings of God be upon him and his family) from God Almighty. Which has infinity, it can only be in the geometrical form that it came with, otherwise it would have gone its system, eloquence and eloquence. We found that the structure of the Noble Qur'an is the science of occasions, proof of its coordination, arrangement, organization, and eloquence. We will analyze Surat Al-Tin and Al-Zaytoun as a model to see how the verses were linked, linguistically and historically, in turn, forming an

ملخص:

دأبت الدراسات القرآنية قديماً وحديثاً على فهم ودراسة علوم القرآن الكريم بكل فنونه، فمن أجل هذه العلوم هو علم المناسبات فهو عمود الإعجاز القرآني كونه يلقي الضوء للنظر والفهم لبيان المعاني وترابط القرآن بشكل إعجازي من أول سورة إلى آخر سورة. فلم يعتنى بهذا العلم من قبل الباحثين والدارسين بصورة كلية وإنما تناولوه بشكل جزئي ولا سيما أن علم المناسبات يوضح لنا أن ترتيب القرآن جاء توقيفي من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الله سبحانه وتعالى فنرى سور وآيات القرآن منظمة بسياق إعجازي يفتح الأفق للفهم وللتفكير بعجائبه التي لانهاية لها فهو لا يكون إلا بالصورة الهندسية التي جاء بها وإلا لذهب نظمه وبلاغته وفصاحته. فوجدنا أن هيكل القرآن الكريم هو علم المناسبات إثباتاً لتنسيقه وترتيبه ونظمه وبلاغته. وسوف نحلل سورة التين والزيتون كنموذج لنرى كيف ترابطت الآيات لغوياً وتاريخياً تبعاً مكونة وحدة موضوعية ذات هدف تناسبي فيما بينها. واتخذنا من المنهج الوصفي التحليلي لرؤية أهمية علم المناسبات ودوره في أرتكاز الآيات في فهم النص القرآني وكيف ترابطت معانيه والفاظه مكوناً نسيجاً بلاغياً محكمًا، وختامًا نصل إلى نتيجة مشرقة وهو أن المناسبة موجودة بين كلمات الآية الواحدة وهذه الآية متناسبة مع الآيات الأخرى في تناسقها ونظمها وبلاغتها وإعجازها ولا يكون القرآن بغير هذا الترتيب أبداً لتشكل المناسبة قرآنًا معجزًا والله أعلم فيما أقول.

الكلمات المفتاحية: التين والزيتون، طور زيتا، مكة المكرمة، جبل الطور..

objective unit with a proportional goal among them. We took the descriptive analytical approach to see the importance of the science of occasions and its role in anchoring the verses in understanding the Qur'anic text and how its meanings and words were intertwined, forming a tight rhetorical fabric. And the Qur'an is not without this arrangement, to begin with, for the occasion to be a miraculous Qur'an.

Key words: figs and olives, Torzita, Mecca, Mount Al-Tur.

المقدمة:

إنّ دراسة علم المناسبات يعد من المساهمات لدى العلماء قديماً وحديثاً الفعالة كونه يوضح ارتباط سور القرآن الكريم مع بعضها أو ارتباط آيات السورة الواحدة فيما بينها ليساعد في فهم القرآن الكريم فهماً كاملاً وكذلك بيان المعنى الحقيقي الذي يوصلنا إلى تماسك الآيات في موضوعها بشكل مترابط ليزيل الشك في تفسير بعض الآيات التي طالما فسرناها حسب الموروث التفسيري وهذا التفسير أدى حديثاً إلى التشكيك في بعض معاني كلمات القرآن الكريم لذا اقتضت ضرورة البحث في تفسير بعض آيات وسور القرآن الكريم وبيان أهمية المناسبة في إزالة بعض الأشكال الذي نراه في بعض الآيات وخاصة سورة الغاشية ليظهر لنا أنّ القرآن الكريم هو معجزة نبينا محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ويكون الإعجاز كون آياته قوية الأسلوب محكمة ودقيقة مما دعا علماء اللغة من المفسرين والباحثين بالاهتمام بالتفسير والتأويل والتحليل والقراءة وقد ساهموا بوضع الأسس النظرية لهذا العلم. وتكمن أهمية وضرورة علم المناسبات في الآية القرآنية هو في انسجام وتناسب الآيات في السورة القرآنية الواحدة فنجد اتصال ووحدة النص القرآني بعضه مع بعض وهو سر أعجازه ونرى القاضي الجرجاني في كتابه (نظرية النظم) يقول (إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ) (الجرجاني، ١٩٩٦م: ص ٥٤). أما في العصر الحديث فقد قامت ثلة لا يستهان بها من العلماء والباحثين بالنظر إلى التفسير القرآني وبيان المعنى اللغوي لآيات القرآن العظيم فقد تناولت علوم القرآن الحديثة دراسة وتحليل النص القرآني ليس كجملة فقط وإنما تبعه إلى النص لعدم كفاية الجملة لوصف ما يريد عامة وشاملاً. وأنّ الباحث أو المحلل للنص القرآني هو من يعتمد الأسس العامة والمنوعة التي تعينه على فهم

وتفسير النص القرآني فهماً دقيقاً شاملاً ومتكاملاً، ومن العلوم القرآنية المهمة التي نبعت من علم اللغة لتحليل النص القرآني والتي على المفسر أو المحلل أن يلتفت إليها هي علم المناسبات أي المناسبة في آيات القرآن الكريم سواء كانت ظاهرة أو باطنية لأنه يقع ضمن الإعجاز في القرآن الكريم.

وعلم المناسبات هو علم الروابط وعلم العلاقات القائمة بين الجمل والآيات والصور القرآنية وهو من العلوم اللغوية المهمة ومن أهم وجوه إعجاز القرآن الكريم وأن هذا البحث من الابحاث القيمة البكر والجديدة التي فيها خدمة للقرآن الكريم ويعد علم المناسبات من الوجوه الإعجازية كما للغة والأدب والبلاغة والنظم وأن لم تكن المناسبة ظاهرة في الآيات والصور فالمناسبة تكون في باطنها لذا وجب بالبحث والاستقراء اثبات وجود علم المناسبات في القرآن الكريم وخاصة في سورة الغاشية التي سنتناولها في هذا البحث كنموذج لم يدرس بعد من قبل الباحثين لبيان المناسبة وارتباط الآيات في المعنى اللغوي الباطني وتكامل النص القرآني وتحليل آيات هذه السورة وما هو وجه تفسير كلمة التين والزيتون في سورة التين والزيتون استنادا إلى علم المناسبات.

إشكالية البحث

نشأت العلوم القرآنية منذ نزول القرآن الكريم على الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد تعددت هذه العلوم في مجالات وفروع شتى تبعاً لكثرة جوانب القرآن والمسائل المهمة التي تناولها وعالجها فهي قضايا لها جانب إيجابي على جميع البشر فمن خلال هذه العلوم استطاع الانسان معرفة القرآن الكريم وتفهمه وماهي غايته واحكامه فنحن بدون معرفة هذه العلوم القرآنية يصعب علينا تدبر القرآن والغوص في مراده فدراسته بشكل شامل يساهم في تطوير الثقافة الدينية لدى الفرد والجماعة حتى يكون لدينا السلاح القوي للرد على كل الشبهات التي تطاله من غير المسلمين. وظل سر خلود القرآن الكريم مقروناً بهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداءً بنبيها بقي القرآن محفوظاً في حرز حريز إنجازاً لوعده الله الذي تكفل بحفظه (دراز، ١٩٩٧م، ص٧). وقد اخترنا دراسة علماً مهماً من هذه العلوم وهو علم المناسبات.

إنّ دراسة علم المناسبات يعد من المساهمات لدى العلماء قديماً وحديثاً الفعالة كونه يوضح ارتباط سور القرآن مع بعضها أو ارتباط آيات السورة الواحدة فيما بينها ليساعد في فهم القرآن الكريم فهماً كاملاً وكذلك بيان المعنى الحقيقي الذي أدى إلى تماسك هذه الآيات في موضوعها بشكل مترابط فالمناسبة إذا تعمل على ربط الكلام ببعضه ببعض من جهة الألفاظ أو المعاني أو من جهتهما جميعاً بحيث لا نستطيع أن نستبدل أجزاء أخرى من الكلام بأجزائه الموجودة فيه أو تغيير وضعه الذي جاء عليه وأن حدث ذلك تنافر الكلام شكلاً ومعنى (عبد الحميد، ٢٠٠٧م: ٣٧) فالترابط والتناسب الذي يبين سور القرآن الكريم أبعد من ذلك ولا يتحدد بالتناسب اللفظي في مقدمة السورة وخاتمة ما قبلها أو بالاشتراك في الإيقاع وغيره إنما هناك روابط موضوعية تتشابك من خلالها الأجزاء وتلتحم في وحدة موضوعية ترتبط فيها الأجزاء بالموضوعات (نجم، ٢٠٠٩م: ١٥٩) ليزيل الشك في تفسير أغلب الآيات التي طالما فسرناها حسب بعض الموروث التفسيري وهذا التفسير أدى حديثاً إلى التشكيك في بعض معاني كلمات القرآن لذا اقتضت ضرورة البحث

في تفسير آيات وسور المصحف الشريف. وبيان أهمية المناسبة في ازالة بعض الأشكال الذي نراه في بعض آيات القرآن أو في تناسب القرآن في كل سوره وآياته ليظهر لنا أن القرآن الكريم الذي هو معجزة نبينا محمد صلى الله عليه واله وسلم). فأن وجه الإعجاز في القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه في جميع أنحائها استمراراً ولا يوجد له فترة محددة ولا يقدر عليه أحد من البشر، وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائها في العالي منه إلا في الشيء اليسير المحدود فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه بل توجد في تقاريق وأجزاء منه (السيوطي، ١٩٨٨م: ٢٤). إن علم المناسبات أو المناسبة في الآية القرآنية وانسجام وتناسب الآيات في السورة القرآنية الواحدة نجد اتصال ووحدة النص القرآني بعضه مع بعض وهو سر التحدي في أعجازه ونجد القاضي الجرجاني في كتابه (نظرية النظم) يقول (أذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ) (الجرجاني، ١٩٩٦م: ٥٤) ورغم أن علم المناسبات هو علم دقيق ويهتم ببيان المعنى للآيات وربطها كجزء نصي متوحد إلا أنه لم يلق المكانة المرموقة التي يستحقها لدى العلماء المفسرين والمحللين فيما سبق، وقد تنقضي دراسات العلماء بكافة العلوم الإنسانية وتنقضي الأجيال والأحقاب ولا ينقضي ما في القرآن العظيم من عجائب بل تنقضي الدنيا كلها ولما يُحيط الناس بتأويل كل ما فيه (دراز، ١٩٩٧م: ٩٨). لذا فقد وعى العلماء لأحد هذه العلوم وهو علم شاقق المنزلة وهو علم المناسبات الذي يرتبط ضمن الأعجاز في النصوص القرآنية.

الضرورة والأهمية والهدف

ويتضح لنا أهمية علم المناسبات في تفسير هذه السورة فإن هذا العلم من أهم الركائز التي يقوم عليها إعجاز المصحف الشريف كون آياته وسوره موضوع في قالب رصين محكم بإطارٍ جمعت سوره كلها من أول كلمة إلى آخر كلمة في كتاب واحد ولو كان ترتيبه وربطه بدون مناسبة في أغلب الآيات والسور لتنافرت الكلمات وذهب المعنى اللغوي والمعجمي إلى غير قصده مما يزرع الريب بقلب المسلم في كتابه ومعتقدده وقد يتخذها بعض المشككين من غير المسلمين ذريعة تهدف إلى الطعن بكتاب الله تعالى المنزه من كل نقص ودعوة للتأمل والتفكر بسر إعجاز هذا الكتاب الذي حير العلماء منذ نزوله إلى يومنا هذا

اسئلة البحث

1. ما هو تأثير علم المناسبات على الإعجاز القرآني ؟
2. ما هو التفسير اللغوي والمعجمي لكلمتي (التين والزيتون) ؟
3. ما هو الهدف من تناسب آيات سورة التين ؟

خلفية البحث

هناك دراسات حول علم المناسبات في آيات وسور القرآن الكريم وسر هذا العلم في إعجازه ولكن لم يكن بحثاً مكتملاً لبيان أهمية هذا العلم في ترتيب سور وآيات المصحف الشريف ولم يتناول العلماء إلا سورة محددة فقط أو مناسبة السور السابقة أو اللاحقة لها فترى دراسة جزئية أو دراسة محددة لا تتحدث عن مناسبة كامل القرآن الكريم أو التطرق إلى علم اللغة في بيان أهم المعاني

التي وردت ضمن الآيات وسر ارتباط الآيات مع بعضها من خلال المعنى اللغوي وصولاً إلى سياق قرآني معجز ونذكر أهم المقالات التي ورد بها علم المناسبات في القرآن الكريم هي:

1. علم المناسبات في القرآن الكريم "دراسة تأصيلية" احمد ماهر سعيد نصر، حولية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، المقال ١٩، العدد ٣٧، ٢٠١٨م. ونتيجة هذا المقال هو بيان أهمية علم المناسبات ومناطق التلاحم والترابط بين الآيات وما يتعلق بآيات السورة الواحدة أو ما يتعلق بالسور أو ما يتعلق بأجزاء أخرى ودوره في ابراز الاعجاز القرآني.
2. المناسبات في تفسير روح المعاني - سورة يس انموذجاً - دراسة تحليلية تطبيقية. محمد فاضل مصطفى الامين، مجلة جامعة المدينة العالمية المحكمة، العدد ٣٦، ٢٠٢٢م. وأهم نتائج ما توصل له هذا المقال أنّ البحث عن علم المناسبات واجب لفهم القرآن الكريم وأنّ الذين عاصروا نزول القرآن يدركون تماماً الارتباط والتناسب بين اجزاء القرآن الكريم، وأن استنباط المناسبة له قواعد يجب تعلمها قبل الشروع فيه لأنّ معرفته تساعد المفسر على فهم المعنى الصحيح وتبعده عن الخطأ.

منهج البحث والإطار النظري

سنقوم ببيان وتعريف علم المناسبات لغة: النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، ومنه النسب سمي لاتصاله وللاتصال به. ونسبت أنسب والنسب الطريق المستقيم لاتصاله بعضه ببعض (أبن فارس، مادة نسب)

أما تعريفه اصطلاحاً : هي الرابطة بين شئين بأي وجه من الوجوه وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها (مسلم، ١٩٨٩م: ٥٨) ومن أكثر منه الأمام فخر الدين الرازي وقال في تفسيره (أكثر لطائف القرآن مودعه في الترتيبات والروابط) وذكر السيوطي المناسبة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع علاقات التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوهما (السيوطي، ١٩٨٨م، ج: ١: ٤٣/٤٤) وأشار له البقاعي أيضاً وقال: علم المناسبات هو علم تعرف منه علل ترتيب أجزاءه وهو سر البلاغة لأدائه تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال ويقصد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة وكانت نسبته من علم التفسير كنسبة علم البيان من النحو (البقاعي، ١٩٧١م، ج: ٦) لكن أول من تناول هذا العلم الرفيع وتنبيه له هو أبو بكر النيسابوري وكان يستخف بعلماء بغداد لأنهم لم يتناولوا علم المناسبات في تفاسيرهم لكن فيما بعد اخذ العلماء من بعده وتناولوا دراسته واستنباطه في تفسير القرآن الكريم. إن هندسة الآيات في هذا الفرقان العظيم وانسياقها وتسلسلها في السور لم تعتمد زمنيّات النزول أو مكانيات الهبوط بل وجدت بحكم رباني بحت نزل تدريجياً على شخص الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث بلور لعلماء العلوم القرآنية مناسبات الآيات بسطوع واضح وأن اختلف التأويل فيما لا شك فيه أن هذه الآيات المتتالية بنيت في سورها لأسباب تعلق في مرتكزات تناسبية حيث وحدت الآيات وتراصفت الآية بمثلثاتها السابقة أو اللاحقة مما ساعد على تفسير دقيق يناسب سياق الآية

والمضمون الباطني او الظاهري فالقرآن الكريم مرتب ترتيباً الهيئاً وأن كان متقطع النزول وجمع فيما بعد وأن جمعه كان توقيفياً وليس لأي من البشر شأنٌ في طريقة جمعه لأنه كان يعرض على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان يضع كل آية في موضعها المناسب حتى ظهر للأمة الإسلامية كتاباً كاملاً لا يشوبه أي نقص أو خطأ منزه من كل العيوب وجامع لكل العلوم والاساليب اللغوية والبلاغية والنحوية، وإذا تأملنا القرآن وجدنا هذه الامور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا نرى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من الفاظ أخرى ولا نظاماً أحسن تأليفاً وأشدّ تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه وأما معانيه فكل ذي لب يشهد له بالتقدم في أبوابه والترقي إلى أعلى درجاته.(المكي، ج٦، ٢٠٠٦م: ٣٩٨) لأنه قرآن عربي عظيم معجز تحدى به كل العوالم، متجدد على مر الازمنة لم يختص بزمان واحد فقط او انتهى مع موت الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كما في معجزات موسى وعيسى وداوود وسليمان وكل الانبياء والرسل عليهم افضل الصلاة والسلام فقد كانت معجزاتهم وقتية انتهت بانتهاء حياتهم وزمنهم لكن وعد الله تعالى أن هذا القرآن باقٍ الى يوم يبعثون اعجازاً وتحدياً (إِنَّا نَحْنُ نَرُفُّ الدَّيْكَرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: ٩)

وجوه علم المناسبات

في بحثنا هذا نركز على أهم الوجوه المهمة لعلم المناسبات:

١. مناسبة ترتيب الجمل في الآية الواحدة فنجد التماسك النصي وتناسق موضوع الآية يمثل بناءً واحداً متكاملًا.
 ٢. مناسبة ترتيب الآيات في السورة الواحدة.
 ٣. مناسبة السورة القرآنية لبداية السورة التي بعدها أو نهاية السورة التي قبلها
 ٤. المناسبة بين اسم السورة وجوهر السورة القرآنية.
 ٥. المناسبة بين سور القرآن الكريم من سورة الفاتحة أولاً إلى سورة الناس آخرًا.
- بعد بيان انواع المناسبة في سور وآيات القرآن العظيم لابد أن نوضح شروط هذا العلم لأن القرآن الكريم معجزة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا يتخلله خطأ أو أي اشكال لغوي أو لفظي أو معنوي سواء في الظاهر أو في البنية النصية للسور والآيات.

بيان شروط علم المناسبة

١. إن تكون المناسبة غير مناقضة للشرع الاسلامي.
٢. إن تكون المناسبة واضحة ومتناسقة ومتماسكة بين آيات السور.
٣. يجب أن تكون المناسبة وفق اصول اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم غير مخالفة للسان العربي.
٤. عند بيان المناسبة يجب عدم الجزم بها ونسب هذا الجزم إلى الله لكيلا يكون ضمن التفسير بالرأي الخاص لأنه مكروه في الشريعة الاسلامية ولم يشهد به في اغلب التفاسير القرآنية.
٥. إن تكون المناسبة غير مخالفة أو معاكسة لتفسير الآيات أو السور مع بعضها لأنها تمثل ترابط وانسجام واحد.

فائدة علم المناسبات

تناغمت مفردات القرآن وتآزرت بإطار الآيات وتوحدت فكانت من بعيد ومن قريب إعجازا لله عز وجل لهذا نجد القرآن متحدًا فكله محكم وكله متقن وكله مترابط منسجم كالبناء المحكم وليس مبعثرًا ولو كان قطع أجزاء مبنوثة لما كان محكم بهذه الصورة أذن إن علم المناسبة يبين مستوى التناسب بين السور أو بين الآيات وهو من الأعجاز القرآني ودلائله في القرآن أنه جاء بسور متفرقة لكنه منتظم متناسق السياق وكل سورة تكون متكاملة رصينة فنرى القرآن كالسلسلة احكمت حلقاتها وبيان المناسبة فيه ساعدنا على فهم النص القرآني واطهار الاسرار فيه أما في العصر الحديث فنجد المحدثين بحثوا عن التماسك النصي والتناسب بين الصور والآيات وأنساق معانيه وانتظام مبانيه وصولاً إلى سر إعجاز هذا القرآن العظيم. والحقيقة أن علم المناسبات أصبح اليوم واضحاً تماماً وأن المناسبة والتناسب أحد ركائز اظهار الأعجاز القرآني بين الآيات القرآنية وارتباط الكلام مع بعضه البعض في أمر متحد ومرتبط أوله مع آخره بشكل دقيق وكبير فنجد فيه جانباً من أسرار القرآن العظيم وصوراً من إعجازه وفهم بغية الله تعالى في كتابه مما يساعد على فهم النص القرآني ومناسبة وانسجام وترابط الآيات في المعنى وهو معجزة القرآن الكريم الخالدة. ومناسبة الآيات بعضها لبعض من أول المصحف إلى آخره حاصلة تامة على أحسن وجه وأكمل منوال ولكن الناس تختلف افهامهم في وجه المناسبة، فبعضهم يظهر له معنى بعيد ضعيف وبعضهم يظهر له معنى حسن قوي فالمناسبة بين الآيات حاصلة وحسن ذلك وضعه راجع إلى حسن الأفهام.(المكي، ٢٠٠٦م، ج٦: ٢٩٩) ونرى أن جمع القرآن الكريم كان بوجود النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قطعاً لا محال وكان الصحابة يرجعون إليه في السؤال عن موضع الآية جنب اختها أو مكان السورة جنب اختها من السور لذا فإن الانسان إذا أطلع على علم المناسبات يزداد أيمناً أن هذا العلم هو معجزة القرآن عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإذا وقع أي خلل في ترتيب القرآن تنتهي معجزته وبهذا ينتهي الإسلام لأنه معجزتنا كمسلمين مقابل الدعوات السماوية الأخرى وذا وقع الشك فيه وفي إعجازه فحتى الرسالات والدعوات التي سبقت الاسلام يتم اسقاطها فلولا وجودهم في القرآن الكريم تفصيلاً فمن كان يصدق بوجود الانبياء عيسى وموسى أو داود (عليهم السلام) وغيرهم من الذين ذكرهم القرآن الكريم ولاسيما أن الكتب المسيحية واليهودية وبحسب الشريعة الاسلامية كلها محرفة ومعجزاتهم كانت زمانية وانتهت أذن القرآن هو اثبات لكل النبوات السابقة للإسلام أيضاً وليس اسقاطاً للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وما جاء به أو تكذيب لمدرسة أهل بيته الكرام وأن من جاء بالقرآن نبي مرسل لذا فالقرآن باقٍ إلى يوم يبعثون وليست معجزة وقتية تنتهي بموت النبي أو المرسل.

البحث والتحليل

المناسبة في سورة التين والزيتون

وهي من الآيات الكريمة البالغة كياقي سور القرآن الكريم وقد احتوت على ثمان آيات وهي بعدد أبواب الجنة وأربع وثلاثين كلمة ومائة وخمسون حرفاً وهي من السور المكية ونزلت بعد سورة البروج وترتيبها القرآني بعد سورة الشرح وقبل سورة العلق وسميت بسورة (التين) أو (والتين)

لافتتاح السورة ب(التين) وعن فضلها: قال أبي بن كعب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من قرأها أعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا فإذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة صيام يوم، "وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ (والتين والزيتون) في فرائضه ونوافله أعطي من الجنة حيث يرضى". (الطبرسي، ١٩٨٨م، ج: ٩: ٧٧٤).

{والتين والزيتون} وشملت هذه السورة المواضيع الملفتة للنظر نتناولها في هذه السورة بإذن الله تبارك تعالى فنرى مطلع السورة الكريمة وقد ابتدأت بالقسم والقسم هنا للتوكيد لأهمية المقسم به وأهمية جواب القسم لأن الله عز وجل غني عن القسم لعباده وأقسم الله سبحانه وتعالى بالتين والزيتون ابتداءً فهل نحمل التين والزيتون على ظاهرها بدون تفكير أو تصرف في المعنى؟ ولماذا التين ولماذا الزيتون وهل فيهما خواص طبية ومنافع تختلف عن غيرها من الفواكه وخاصة أن بعض الفواكه لها منافع كثيرة تفوق منفعة هاتين الفاكهتين هذا أولاً وثانياً ما قيمة القسم بالتين والزيتون بالنسبة لآيات أكبر وأعظم قيمة وما خلق الله مثل الشمس والقمر وغيرهما فالتين والزيتون ليسا من الأمور الشريفة المقدسة لكي يقسم بهما الله لكن هناك رمزية في الأمر ومناسبة الآيات في هذا القسم وبقرينة القسم بطور سنين والبلد الأمين.

فنقول: بقريئة المجاز العقلي بقصد المحل واطلاق الحال هي أماكن مقدسة وقد فُسرَت لمواطن مختلفة منها أن التين لجبل أو مكان مقدس ينبت فيه، والزيتون الجبل المقدس الذي نبت فيه أي ذكر الله تعالى أربعة أماكن مقدسة جبل التين وفسر بجبل الشام بدمشق وجبل الزيتون وفسر بجبال فلسطين وطور سنين هو طور جبل سيناء والبلد الأمين مكة المكرمة وهنا نلمس المعنى الباطني للتين والزيتون وهو القسم بمنابت هذه المواطن المقدسة وهنا نلمس السؤال الذي يدور في مخيلتنا وهو لماذا صارت هذه الأماكن مقدسة وقد أقسم الله بها؟ والجواب لأن هذه البقاع هي موطن الأنبياء، قال صاحب الكشاف: "هما جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا، لأنهما منبئا التين والزيتون وقيل منابت التين والزيتون". (الزمخشري، ١٩٩٨م: ٤٠١).

وروي عن ابن عباس "تفسير التين بأنه مسجد نوح الذي بني على الجودي بعد الطوفان وسمي هذا الجبل لكثرة التين فيه إذ ممكن أن تسمى أرض بما يكثر فيها من الشجر، أما الزيتون فيطلق على الجبل الذي بُني عليه المسجد الأقصى لأنه ينبت الزيتون وقد يكون هاذين المنبتين اكتسبا الشرف من بين الأشجار لأنهما نابتا في هذين المكانين المقدسين". (ابن عاشور، ١٩٨٤م: ٤٢١). ونرى الكثير من التفاسير قد فسرَت التين والزيتون على أنها أماكن مقدسة، " قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والنخعي وعطاء بن أبي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي وقال كعب وعكرمة: أقسم الله تعالى بمنابتهما فأن التين ينبت كثيرا بدمشق والزيتون ببليليا فأقسم بالأرضين، وقال قتادة هما جبلان بالشام على أحدهما دمشق وعلى الآخر بيت المقدس وقيل: هما مسجدان واضطربوا في مواضعهما اضطراباً كثيراً ولم يختلف في طور سيناء أنه جبل بالشام هو الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام ". (الأندلسي، ١٩٩٣م: ٤٨٥).

كذلك نقرأ في بعض التفاسير أن التين والزيتون هما منبت في هذه البقاع المقدسة فيقول الشيخ زاده: " قيل المراد بهما جبلان من الأرض المقدسة أو مسجدا دمشق وبيت المقدس فقال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس عُبر عنهما بما كثر فيهما من التين والزيتون، وروي عن ابن عباس أنه قال هما جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور زيتا لأنهما منبتا التين والزيتون" (شيخ زاده، ١٩٩١م، ٥٧٦).

كما ورد أيضاً القسم بمنابت التين والزيتون، قال كعب وعكرمة: " القسم بمنابتها وذلك لأن التين ينبت بدمشق والزيتون ينبت بإيليا فأقسم الله تعالى بالأرضين، وقال قتادة: هما جبلان بالشام على أحدهما دمشق وعلى الآخر بيت المقدس وقال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد إيليا وقال ابن عباس وغيره التين مسجد نوح والزيتون مسجد إبراهيم وقال محمد بن كعب القرظي: التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد إيلياء". (الأندلسي، ٢٠٠١م: ٤٩٩).

ولا يفوتنا أيضاً ذكر بعض من الأماكن التي يرجح بأنها لها قدسية خاصة ولاسيما وقد نبت في أرضها فاكهة التين والزيتون، " عن ابن عباس: التين مسجد نوح عليه السلام الذي بني على الجودي والزيتون بيت المقدس، وقال الضحاك: التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الأقصى، وقال عكرمة وابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس، وقال قتادة: التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الذي عليه بيت المقدس ورأي محمد بن كعب: التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون إيلياء. واختار الطبري وعكرمة وابن زيد: التين دمشق والزيتون بيت المقدس. وقيل هما جبلان بالشام يقال لهما: طور زيتا وطور تينا بالسريانية سميا بذلك لأنهما ينبتان التين والزيتون". (الحنبلي، ١٩٩٨م: ٤٠٦).

ونرى رأي القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة تأييداً لمناسبة الآيات مع بعضها للقسم بها، قال القرطبي: "هو مسجد أصحاب الكهف. وروي العوفي عن ابن عباس أنه مسجد نوح الذي على الجودي والزيتون قال كعب الاحبار وقاتادة وابن زيد وغيرهم: هو مسجد بيت المقدس". (ابن كثير، ٢٠٠٠م: ٢٠١٠)

كما ذكر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب على أن الله سبحانه وتعالى أقسم بالأماكن المقدسة وكلهن كانت أماكن عبادة لله تعالى أو مبعث الأنبياء عليهم السلام فجاء القسم مناسبة مع ترتيب الآيات الكريمة مع بعضها، قال ابن عباس: "هما جبلان من الأرض المقدسة ويقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لأنهما منبتا التين والزيتون، وقال المراد من التين والزيتون مسجداً ثم قال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وقال آخرون التين مسجد أصحاب أهل الكهف والزيتون مسجد إيلياء، وعن ابن عباس التين مسجد نوح عليه السلام المبني على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس والقاتلون بهذا ذهبوا إليه لأن القسم بالمسجد أحسن لأنه مكان العبادة والطاعة فلما كانت هذه المساجد في المواضع التي يكثر فيها التين والزيتون لا جرم اكتفى بذكر التين والزيتون". (الرازي، ١٩٨١م: ٩).

ونجد الشوكاني في تفسيره رغم أنه كان لا يقول بالمناسبة بين الآيات إلا أن ما ذكره في تفسير التين والزيتون كونها قسم بمنابت التين والزيتون أو البقاع المقدسة هنا نجد أن المناسبة حتما موجودة مع ترتيب القسم في الآيات القرآنية التي بعدها، " قال الضحاك التين مسجد دمشق

والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال عكرمة وكعب الأحبار: التين دمشق والزيتون بيت المقدس وقال الفراء: سمعت رجلاً يقول: التين جبال حلوان إلى همدان والزيتون جبال الشام وقال محمد بن كعب: التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد ايلياء وقيل: إنه على حذف المضاف أي ومنابت التين والزيتون". (الشوكاني، ٢٠٠٧م: ١٦٣٧).

وذكر الأمام زيد بن علي الشهيد التين والزيتون "على أنهما جبلان أيضاً، ويقال التين والزيتون جبلان" (الشهيد، ١٩٩٢م: ٣٩٦). وقال السهيلي: "أقسم الله تعالى بطور تينا وطور زيتا وهما جبلان عند بيت المقدس". (الثعالبي، ١٩٩٧م: ٦٠٦). وقال بعضهم: "التين جبل دمشق والزيتون جبل بيت المقدس". (الهواري، ١٩٩٠م: ٥٨١).

وقد وجدنا أكثر التفاسير تفسر التين والزيتون على أنها أماكن مقدسة أو منابها ونذكر ما كتبه الطبرسي في تفسيره، "قيل التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس عن قتادة وقال عكرمة هما جبلان وإنما سميا لأنهما ينبتان بهما، وقيل التين مسجد نوح الذي بني على الجودي والزيتون بيت المقدس عن ابن عباس وقيل التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الأقصى عن الضحاك". (الطبرسي، ١٩٨٨م: ٧٧٥). ولا يخفى علينا أيضاً ما ذكره صاحب التفسير الوسيط للقرآن الكريم، "قيل التين مسجد نوح عليه السلام الذي بنى على جبل الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس، وقيل التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الأقصى، وقيل: التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس، وقيل: التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون مسجد ايلياء، وقيل: هما جبلان بالشام يقال لهما طور تينا وطور زيتا سميا بذلك لأنهما ينبتا بهما". (طنطاوي، ١٩٨٦م: ٦٣٠).

{وطور سينين} وهنا يكمل الله عز وجل قسمه وهو طور سينين ويقصد به جبل طور سيناء الذي كلم الله به نبيه موسى بن عمران (عليه السلام) وطور سينين هو قسم بهذه الأرض المقدسة الطاهرة وهي بقعة كلم الله جل وعلا كلمه وقربه وأدناه إليه وأتاه مقام النبوة والرسالة وإنما يدل هذا على بركة هذه الأرض وقد اختلف المفسرون والنحاة في تفسير معنى كلمة سينين، "قال مجاهد: سنين المبارك وقال الكلبي: هو الجبل المشجر ذو الشجر وقال مقاتل كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين". (الرازي، ١٩٨١م: ١٠). إذن طور سينين الجبل ذو الشجر الكثير النبات إضافة إلى قدسيته كونه جبل مبارك حسن نزلت به التوراة وسن الشريعة على موسى عليه السلام وتذكيراً بالمعجزات التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على هذا الجبل المبارك من آيات بينات لموسى عليه السلام وقومه. { وهذا البلد الأمين } الأمين على وزن فعيل للمبالغة في الأمان وجمع معنيين هما الأمان والأمانة فجعل الله هذا البلد وهي مكة المكرمة بلداً آمناً وأماناً فالبلد الأمين يصل أعلى درجة في الأمان بأن يكون الإنسان آمناً والحيوان والنبات بأمان وحتى الحشرات والطيور تكون بأمان ومن دخله كان آمناً وكيف لا وهو مكان ولد وبُعث فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والبلد الأمين لا أشكال فيه ولا اختلاف كونه مكة المكرمة وأنها بسؤال نبي الله إبراهيم عليه السلام صارت بلداً آمناً مطمئناً قال سبحانه تعالى على لسان نبيه الكريم { وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات }.

ونلاحظ أن القرآن الكريم إلى أين ينتقل بنا فهو يقسم بأربع مواطن مقدسة حسب ترتيبهم الزمني والوجودي وما يملكونه من شرف حمل الرسالة على الرغم من أن البعض منا يستغرب أننا كيف نتبرك بأثار الأنبياء ونزور أضرحتهم فالقرآن يقسم بالتين والزيتون لأنهما نبأ على جبل وهذا الجبل كان عليه الأنبياء الصالحون أذن البركات والخيرات تسري عليه وهنا نرى المناسبة واضحة في تسلسل الآيات إذ أقسم بأربع بلاد مقدسة طاهرة وهي: بلاد التين والزيتون الشام وفلسطين - وطور سينا - ومكة المكرمة.

أي أماكن بعثة الأنبياء موسى وعيسى (عليهم السلام) ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو اختيار وتناسب مهم بين الآيات الكريمة وأيضاً نرى إشارة مهمة وهو القسم بغير الله موجود في المصحف الشريف ولم ينه الله سبحانه وتعالى عنه أو يقتصر على الله تعالى ولا مانع بأن نقسم بغير الله كما فعل الله عز وجل بقسمه في بداية السورة الكريمة (والتين والزيتون) وتبعها قسم بمكانين إذ أقسم الله جل في علاه في القرآن الكريم بهذه البلاد المقدسة لمطلب خلق الإنسان بأحسن صورة فمناسبة الآيات الثلاثة وتناسب الأماكن الأربعة المقسم به دلت على بقاع مشرفة مقدسة حسب تسلسلها الزمني وما ملكته من شرف هذا القسم بها فنرى معاني الفاظ القسم وموضوعاتها لها مقصد يشير إليه سياق الآيات الكريمة التي مر ذكرها وهي أماكن مقدسة بعث فيها الله تعالى أنبيائه فنالت شرف العزة والقسم بها.

{ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم }

وهنا جواب القسم فخلق الله الإنسان في أحسن تقويم على الفطرة الصحيحة فمن أعجب ظواهر الوجود هي حقيقة الوجود الأدمي فنرى عجائب خلق الله هي الإنسان ووضعه في أحسن وأفضل صورة فقوم الإنسان أحسن قوام من حيث بما هو إنسان فضله الله تعالى عن الحيوان ذي الأربع قوائم منحني الرأس لكن الإنسان جعل له قدمين مرفوع الرأس له عيانان قطعتان من شحم ودم وفيها مادة بيضاء هلامية فالإنسان بهذه الكاميرا الصغيرة يبصر بها حتى مئة عام بينما الكاميرات الحديثة بفعل التكنولوجيا لا تدوم طويلاً وتتلف وجعل عز وجل مكان العيون في موضع مفضل وهكذا الأنف للشم والأذن للسمع والفم للذوق واليد للمس وأيضاً القلب وعمله كمضخة دقيقة والكلية وكيف أن الإنسان المصاب بالفشل الكلوي يحتاج غرفة كاملة بمعدات والأجهزة المتطورة لكي تعمل عمل الكلية وتتقد حياة الإنسان فهذا أحسن تقويم فما أعظم قدرة الله وفضله علينا قال تعالى: { ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً } (الإسراء: ٧٠)

أذن خلق الإنسان عجيب غريب وهنا قوس صغير قوس تأملي نقول فيه: إذا كان الظاهر البشري بهذا التعقيد فما بال تكوينه الداخلي بكافة أعضائه؟ وكيف بالروح الإنسانية الروح الباقية فجسم الإنسان رغم كل تعقيد فإنه يبلى بعد الموت لكن تبقى الروح التي نفخ الله سبحانه وتعالى فيها من روحه فالروح التي وضعها الله تعالى للإنسان لا تشبه روح الحيوان ولا حتى روح الجن ولا الملائكة فتعقيدات الأرواح من العجائب وكل التعجب بما يسند إلى الأرواح، فالإنسان خليفة الله في أرضه فالله سبحانه وتعالى جعله منبعاً لعلومه ومنبعاً لكرمه ومنبعاً لكل الفضائل والقيم فالإنسان يصل إلى درجة تخدمه الملائكة بما فضله الله تعالى على كافة المخلوقات قال تعالى: { وإذ قال

ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة * قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحنُ نسبحُ بحمدك ونقدسُ لك * قال إني أعلم ما لا تعلمون تعلمون { (البقرة: ٣٠).
{ ثم رددناه أسفل سافلين }

جمعت كلمت سافلين في الآية الكريمة معنيين وهما أرذل العمر ومنازل جهنم السفلى يقول الله سبحانه وتعالى نحن خلقنا الإنسان في أحسن تقويم لكن يا أنسان ماذا عملت لنفسك لتكون أسفل سافلين؟ تمسكت بالشيطان وانغرست بالملذات وانحرفت عن الفطرة السليمة ونسيت فضل الله سبحانه وتعالى عليك وجعلت نفسك أسفل سافلين ورددناه نحو الجزاء وليس الله وضعتك في الأسفل بحيث يكون جزاؤك حصب جهنم فجهنم لها حطب وبعض الناس في الآخرة يكون هو حطب جهنم وهكذا يكون الإنسان مثال قليل فهو يأكل أطيب الطعام ويتعطر بأطيب العطور الزكية ولكن في الآخرة جزاء اعماله السيئة يكون كربه المنظر نتن الرائحة فالإنسان بيده وبعمله يحول النعم والصالحات إلى ما ليس بنعم فالإنسان يستطيع أن يصل إلى أعلى مكانة في الجنة إذا عرف ربه وعمل الصالحات تقربا له وإذا طغى وعصاه يرد إلى أسفل سافلين فحياة الإنسان أما أن تكون في أعلى عليين أو أسفل سافلين،" قال علي بن ابي طالب (عليه السلام): وضع أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض فيبدأ بالأسفل فيملا وهو أسفل سافلين وعلى هذا التقدير فالمعنى ثم رددناه أسفل سافلين إلى النار". (الرازي، ١٩٨١م: ١١)

{ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجرٌ غيرُ ممنون }

ذكرت الآية الكريمة أن الإنسان في خسر إذا رددناه أسفل سافلين لكن يبقى هناك استثناء ومن لم يدخل في الاستثناء فهو في جهة العموم يعني إذا كنت فائزا تحتاج إلى دليل وأن كنت خاسرا تحتاج إلى دليل أيضا وإلا فأنت أيها الإنسان محكوم عليك فيقول الله سبحانه وتعالى: {والعصر * إن الإنسان لفي خُسْرٍ * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر { (العصر: ٣). فنحن نمر بهذه الآيات وأمثالها ونرى الاستثناء الذي يوجد فيها للإنسان الصالح الذي لديه اعمال صالحة ومستحبة بالصوم والصلاة وبر الوالدين ورعاية الأيتام كلها اعمال صالحة وشاملة وفي اللغة العربية الجمع إذا دخل عليه ال التعريف أفاد العموم أن الصالحات هو جمعٌ وعليه فالصالحات يعني كل الصالحات وجميع الصالحات لا يتخلف صالح واحد وإذا كان هناك نقص في عمل واحد فهذا الإنسان اصبح ليس بالمستوى المطلوب ونقول صالحات بلا ال التعريف فالاختلاف يظهر في الفرق بين المعنى في الكلمتين (الصالحات - صالحات)، ثم يربط الله تعالى جزاء الصالحين بأجرهم الذي سينالونه ثوابا واستحقاقا غير مقطوع وهو الجزاء الأبدي وممنون من المنة فالله جل في علاه يعطي جزاؤهم بغير منة ولا منقطع عليهم وهي الجنة ونعيمها فيها شراب وفاكهة وفوق هذا كله رضى الله تعالى وسبحانه وهنا تظهر قيمة الإيمان والعمل الصالح الهادف للوصول لدار الكمال المقدر لهم. إذن ونحن نقرأ الآية الواحدة أيضا نلمس وجود المناسبة بين الجمل والكلمات ونعلم ليست المناسبة حصرا على ما بين الآيات أو بين مطالعها أو خواتيمها فلقد وضع الله تعالى الصالحين ضمن الاستثناء ثم تبعه جزاؤهم الأبدي بلا فضل ومنة فترابط مناسبة القسم في ما بين الآيات ثم مناسبة الوحدة الموضوعية في الجملة في الآية الواحدة نرى أن

السياق القرآني بما تحدث عنه الله سبحانه وتعالى جاء وفق مناسبة وتوافق وترابط وإنما يدل ذلك على إعجاز القرآن الكريم.

{فما يكذبك بعد بالدين * أليس الله بأحكم الحاكمين }

ذكر الله كلمة الدين ولم يختار لفظاً عوضاً عنها لمناسبة أماكن الأديان التي أقسم بها في بداية السورة الكريمة، ويرجع الله سبحانه وتعالى بخطابه إلى هؤلاء القوم الذين استثنوا من الجنة فالمكذبين بالدين مكذب بالميعاد والجنة والنار ومكذب بالأخرة ويوم القيامة فجمعت كلمة الدين الأديان والجزء فهم يكذبون بحقيقة الإيمان في حياة الإنسان ومصيره المحتوم المرهون بعمله فما يكذبك بعد بالدين فيما أياها الإنسان إذا عرفت أن الله سبحانه وتعالى خلقك ورزقك وسواك وكذلك وأنه لا يوجد شيء بالصدفة وأن ما ترى من كمال المخلوقات ودلالة قدرة الله تعالى وحسن تصويره وترتيب هذا الخلق وترتيب السموات والأرض فلا بد لهذا كله من صانع فما دام ترى هذه الأمور الدالة على وجود الله عز وجل وخلق لعباده تراها بعينك ظاهرة أمامك فما يكذبك بعد بالدين؟

وعندما نصل لختام الآية أليس الله بأحكم الحاكمين؟ نجد الاستفهام هنا للتقرير لحمل المخاطب على الاعتراف والاقرار بأمر قد ثبت عنده ونعلم أن في اللغة الاستفهام على نوعين: استفهام حقيقي وهو يطلب به معرفة أمراً مجهولاً فيحتاج لجواب، واستفهام مجازي وهو لغرض بلاغي لا يطلب به جواب لسؤال محدد وإنما يحمل أغراضاً بلاغية كثيرة وقد جاء في هذه الآية استفهاماً منفياً لغرض التقرير والتأكيد كقوله تعالى { ألم نشرح لك صدرك } (الشرح: ١). فنجد الاستفهام الذي ورد في الآيات الكريمة هو لغرض التقرير والتأكيد والثبيت لأمر ما وتنتهي السورة بالتأكيد على مسألة المعاد وحاكمية الله المطلقة فهو أحكم الحاكمين في شرعه أباح لنا أشياء وحرم علينا أشياء أخرى وأوجب علينا فعل الصالحات وترك المحرمات وكل هذا مشتمل على الحكمة التامة والحجة البالغة أي حكمته وحكمه وعدله وقضائه ورحمته فقد احتوت بأحكام الحاكمين على كل هذه المعاني في عبارة واحدة لتدل على القضاء والحكمة، ونحن أسوة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما كان يقرأ هذه الآية الكريمة { أليس الله بأحكم الحاكمين } يرد جوابه: نعم وأنا على ذلك من الشاهدين، وإنما دل ذلك على التنسيق الحسن للآية ودقة اختيار الالفاظ

فسورة التين جاءت على التنبيه بفضل الله على خلق الإنسان على الفطرة الصحيحة المستقيمة كما قال الله تعالى في آياته (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها) (الروم: ٣٠) ومن يخالف الله أو الإسلام فهم أهل الضلالة وقد شملهم الله بالوعيد لتكذيبهم بالرسالة وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالشرائع الأربع التفتاً إلى أن الإسلام جاء مصداقاً لها وهي مشاركة في أصولها لأصول الدين الإسلامي، وقد أشار الله تعالى إلى حسن الجزاء للصالحين المصدقين بفروع الإسلام وأصوله وأيضاً شملت فضل الله وامتنانه على الإنسان بحسن خلقه على أتم صورة وأحسن نظام في نفسه وجسمه وذكر المعاد والجزاء.

أذن ذكرنا مقصد سورة التين والغرض الذي نزلت لأجله فوجدنا أن المناسبة موجودة من أول كلمة في الآية الكريمة إلى نهاية آخر كلمة وجمال التنسيق في خواتم الآيات فكل خاتمة جمعت معاني عديدة في وقت واحد وظهور الوحدة الموضوعية في السورة بلا نقص أو اختلاف في التفسير وبيان القصد الأساسي فيها والمحور الذي دارت فيه معاني السورة الكريمة ولا سيما أننا

قسّمنا السورة إلى محاور وهذه المحاور ربط بينها علم المناسبات كونه العمود الرئيسي للوحدة الموضوعية للنص القرآني الموسوم بالحكمة والإحكام والإعجاز، والآراء في تفسير كتاب الله العزيز تكون أقرب إلى الصواب إذا ما وجد علم المناسبات بمعناه القرآني كاملاً في السورة والآيات كلها بنظام هندسي إعجازي رائع بحيث لو غيرنا كلمة لا بل حرفاً أو قدمنا وأخرنا آية نرى أن القرآن يخلت نظامه وترتيبه أو نتجج الفكرة أو موضوع الآية إلى غير قصد والمناسبة أيضاً تعتمد على عناصر مهمة لإكمال التلاحم بين الآيات والصور ويعتمد على الصورة والإيقاع والقصة وهذا كله في الأخير لخدمة الهدف الرئيسي وهو وحدة الموضوع والتناسب الواضح في القرآن الكريم.

النتائج :

لا يعلم تأويل وتفسير الآيات والصور القرآنية إلا الله تبارك وتعالى لكن نحن مأمورون بالتدبر والفهم، ففي كل لحظة وزمان تبقى هذه الآيات والصور لها دلالات وفوائد وعبرة ولها تأثير على الإنسان المؤمن فيزداد اليقين والهداية والكثير من التسليم لله تبارك وتعالى، فمن خلال بحثنا هذا لسورة التين والزيتون بيّنا وجه المناسبة وانسجام الآية الواحدة وترابط الآيات مع بعضها الذي هو سر إعجاز القرآن الكريم ولا سيما أن علم المناسبات يمثل في رأينا هيكل القرآن الكريم وهذا الإعجاز يكمن في ترتيبه وطريقة جمعه التي جمعه بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدارت محاور الآيات الكريمة حول القسم بالأماكن المقدسة وخلق الإنسان في أبهى صورة والبراهين المشرقة.

وأيضاً شملت الآيات المباركة محاور متناسبة مع بعضها فبدأ الله "تعالى" القسم بمنابت أو أماكن التين والزيتون وهي بلاد مقدسة وتلاها القسم بطور جبل سيناء الذي كلم الله به نبيه موسى بن عمران (عليه السلام) وختاماً القسم بالبلد الأمين وهذا البلد هي مكة المكرمة فهي بلدًا آمناً وموطن ومبعث النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا القسم لا بد له من جواب وهو جواب القسم، فقد أقسم الله "عز وجل" لجواب بأنه خلق الإنسان في أحسن هيئة وصورة وكرّمه وأحسن تكريمه وجعل الملائكة تسجد له تكريماً وتقضيلاً على الكثير من المخلوقات ورغم ذلك التكريم المعنوي والحسي إلا أن بعض البشر لم يشكر خالقه ولم ينتبه لفضله فكان جزاؤه النار في أبشع صورة وعداً منه وجزاء ثم تبع هذا الأمر استثناء للمؤمنين الذين عملوا الصالحات وصدقوا بآيات الله "عز وجل" جعل لهم وجوه مشرقة في جنات النعيم خالدين فيها أبداً لأن كل إنسان مصدق بالحساب والجزاء وخاصة بعد ظهور الدلائل فمن العقل أن لا يكذب بيوم الدين وتنتهي السورة ختاماً بالسؤال التقريري للإعتراف بفضل الله وحكمه المطلق والتأكيد على أن الله "تعالى" هو أحكم الحاكمين في حكمه وشرعه وحسابه فقد وهبنا أشياء وحرّم علينا أشياء أخرى وجعل يوم القيامة هو يوم الفصل والحساب لينال كل ذي عمل جزاءه لذا خلق الله عز وجل الجنة والنار، فلو أمعنا النظر حول المحاور المتسلسلة والمشاهد الصورية التي نراها في الذهن نستنتج أن كل حرف في كلمة وكل كلمة في جملة وكل جملة في آية وكل آية في سورة وكل سور القرآن الكريم حوت على علم المناسبات في انسجام وتلاحم الآيات والصور وترابط سياقها ونظمها ولو حاولنا تغيير حرف أو كلمة أو زيادة أو نقصان لأشكّل علينا من قبل المشككين كونه معجزة خالدة وأنه جهد بشري

فهو منزّه عن البعثرة والتناقض فسر أعجازه يقع في ترتيبه وترتيبه كان لمناسبة حتمية سواء كانت ظاهرة أو باطنة وهذه يقودنا إلى معادلة ذات اسس هندسية نقول فيها أن علم المناسبات هو أحد الفنون القرآنية التي حملت سر القرآن الكريم في إعجازه.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما ابتدئ به القرآن الكريم.

1. ابن عاشور؛ محمد الطاهر، ١٩٨٤م، تفسير التحرير والتنوير، ج ٣٠، الدار التونسية للنشر، تونس.
2. الأندلسي، ابي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، ٢٠٠١م، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت. عبد السلام عبد الشافي محمد، ج ٥، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
3. الأندلسي؛ محمد بن يوسف أبي حيان، ١٩٩٣م، تفسير البحر المحيط، ج ٨، ط ١، تحقيق د. عادل احمد عبد الموجود - علي محمد المعوض، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
4. البقاعي؛ برهان الدين، (١٩٧٠م)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج ١.
5. الثعالبي؛ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ابي زيد، ١٩٩٧م، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ت. علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، ج ٥، ط ١، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
6. الجرجاني؛ عبد القاهر، (١٩٩٢م)، دلائل الأعجاز، ط ٣، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر.
7. الرازي؛ محمد الرازي فخر الدين ضياء الدين عمر، ١٩٨١م، تفسير الفخر الرازي التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٣٢، ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
8. الزمخشري؛ جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، ١٩٩٨م، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج ٦، ط ١، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الجواد- الشيخ علي محمد معوض، الناشر مكتبة العبيكان، الرياض - السعودية.
9. السيوطي؛ جلال الدين، (١٩٨٨م)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ط ١: بيروت لبنان. مسلم؛ مصطفى، (١٩٩٤م)، مباحث في إعجاز القرآن، ط ٢، لبنان: دار مسلم للنشر والطباعة.
10. الطبرسي، الفضل بن الحسن، ١٩٨٨م، مجمع البيان في تفسير القرآن، ت: السيد هاشم الرسول المحلاتي والسيد فضل الله اليزدي الطباطبائي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
11. دراز؛ محمد عبد الله، (١٩٩٧م)، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، ت. عبد الحميد الدخايني، ط ١، الرياض - السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع.
12. عبد الحميد؛ مصطفى شعبان، (٢٠٠٧م)، المناسبة في القرآن دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسياق اللغوي، ط ١، الإسكندرية المكتب الجامعي الحديث.

13. الشوكاني؛ محمد بن علي بن محمد، ٢٠٠٧م، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ت. يوسف الغواش، ط٤، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
14. المكي؛ ابن عقيلة، (٢٠٠٦)، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ج٦، ط١، جامعة الشارقة - الإمارات العربية المتحدة: مركز البحوث والدراسات.
15. ابن كثير؛ ابو الفداء إسماعيل بن عمر، ٢٠٠٠م، تفسير القرآن العظيم، ط١، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
16. الحنبلي؛ ابو حفص عمر بن علي ابن عادل، ١٩٩٨م، اللباب في علوم الكتاب، ت. عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد المعوض، ج٢٠، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
17. الشهيد؛ زيد بن علي، ١٩٩٢م، تفسير غريب القرآن، ت. حسن محمد تقي الحكيم، ط١، الدار العالمية للنشر والطباعة، بيروت - لبنان.
18. شيخ زاده؛ محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي، ١٩٩١م، حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، ج٤، مكتبة الحقيقة، استانبول - تركيا
19. الطبرسي؛ ابو علي الفضل بن الحسن، ١٩٨٨م، مجمع البيان في تفسير القرآن، ت. السيد هاشم الرسول المحلاتي - السيد فضل الله اليزدي، ج٩، ط٢، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
20. طنطاوي؛ محمد سيد، ١٩٨٦م، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج٢٩، الرسالة للطباعة والنشر، القاهرة - مصر.
21. نجم؛ إقبال وافي، (٢٠٠٩م)، التناسب ودوره في الإعجاز القرآني، إشراف د. صباح عباس عنوز، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، مجلس كلية الفقه.
22. الهواري؛ هود بن محكم، ١٩٩٠م، تفسير كتاب الله العزيز، ت. بالحاج بن سعيد شريفي، ج٤، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان.